مدينة العطش

« الى مدينتي ، مدينة العطش الدائم »

فؤاد كحل

داخل في دمي
خارج من دم القاتلين
خارج من دمي
داخل في دم العاشقين .
قيل ندّابة الرمل قد بدأت
وانتهت رحلة القادمين
قيل هذا انطفائي
فقلت ابتدائي !
وظلت موانئنا في المدينة سوداء
هذا ابتدائي
وهذا انتصار المساجين ،
لا تربتي تزهر الدفء حين يكون عليها !
ولا « الثقفي » يعود اليها ،
ولا تعزف الريح للثغر الحانه
فيضيء لديها !
قلت : آت على شكل قرص من الخبز
ما بين عيني وبين المنازل في بلدتي
رحلة المتعبين ...
قلت : هذي المدينة
مذبوحة في الشرايين
ها أنذا ،
قاتل فوق تربتها وقتيل
أمزق أثوابها ...
وأبعثر أحبابها ...
وأجعل من ضوئها منهلا للغزاة .
قاتل فوق تربتها وقتيل
أقطّر أحزانها وآمالها
في القلوب المليئة بالقهر
ابني لها جبلا وأقول : اصعدي...
فتحاول ..

تنأى عن القلب ،
أصرخ عيناك خاويتان
وضرعك صار ينزّ انطفاء
ووجهك ضاعت ملامحه !
. . . . . .
وأكوّم كل الهموم
أحاول اشعالها ،
فيخون الفتيل !

* * *

هارب من دمي
مثلما يهرب النهر من جسد الارض
أو يخرج الصوت من رقصة الحنجره
فابداي حركاتك تحت السياط
فغدا من حجارتك الدموية
قد تعقد القنطره ...
والمضافات قد تتقيأ من جوفها حزنها
والحواكير تلثم أقدام أطفالها .
والقرى ...
بعد أن خبأت جرحها زمنا
لم تطق نزفه الجاهلي
فنزت عذابا وبؤسا
ولونت الامنيات الدماء

* * *

قادم من تراب بلادي
والجبل ـ الهمّ في رؤيتي
يطلب الثلج ،
والثلج يغتاله القتله !
أرسم القمح فوق الدفاتر
لكنهم ينصبون لي المقصله !
أرسم الحزن فوق المحاجر
لكنهم يطعنون بي المساله !
فأطالب أن تسكب القهوة الطبقية
لكنهم يرشقون المجامر بالقتل والليل
حتى تظل الاباريق باردة ، تتساءل
عن طبخة الهيل ، أو جمرة تنضج
الجوف فيها ...
فيا وقدة يفصل النار عنها السلاطين :
ها حاجة للمرابع تنمو بأحشاء
أطفاله !
وها شهوة لاحتساء الفناجين تنتابه!
والمرابع دمع بأعماقه
ورؤى مذهله ..!
والطفولة غارقة بهموم الجنون ،
الطفولة لا توقف النزف من عمره
وتظل تلاحقه وتلاحقه ...
فيطالب أن يجلس الآن بين المحبين
كاو يشيخ به ثأره
ويأسر سادته مقتله !

* * *

لا تنوحي على وطن طار من بيننا

وتقولي لنا :
انه العطش البربري المهاجم
فالعطش الجبلي ارتوى بالدماء !

* * *

طالع من هموم البيارق
فانبلجي في رؤى الثائرين ،
سأسميك أمنية الشهداء
ومذبحة الفقراء
أو انتظري !
أنت وهوهة الخيل
حين تصير العمائم كالثلج
حين تصير القوائم كالرهج ،
أو ، فلأقل : أنت فاتحة للحداء
فاشلحي ثوبك ـ الصمت
والتحفي النخوة الطبقية
والسنديان
وأمنية الناس
غطت على حزننا المهزله !

* * *

مشرق يا مدينتي العطشية
يا من تضيعين بين تخوم الحجارة والحلم
أرض البراكين شاهدة
وكل الزنازين شاهدة
والتراب اكفهرت ملامحه
فتصلّب في محجريك الرجال .
فهيا نطالب بالموت سحقا
لكل الذين يبيعون وجهك
بالذبح للعسس المتغلغل كالاخطبوط
أقول : بفقرك يا خبزي العطشي ،
لماذا « يقوّد » ابن على أمه ،
ويكشف عورتها للزناة !
ولم ترجميه ؟
فاخرجي مرة من بيوت الزنا
وادخليه ...
فاخرجي ،
آن أن تدخليه !

* * *

مرة قلتِ :
كل الطيور الجميلة ترحل من تربتي
فيعيث الغراب فسادا
ويأكل خبزي ساعة تزهو البيادر
قلت أشياء أخرى وأخرى ...
وسالت دموعك فوق سفوح جبالك
فاتشحت بالسواد
وصار للون الحجارة
طعم المراره ..!
وكل الكروم رأت نزفك المر
فانفجرت بالبكاء حلاوتها
وحين ارتوت بالبدايات
صارت عناقيدك المستباحة
بين الدوالي
قناديل حزن ،
وبحت كثيرا عن الزمن الهمجي المهاجم
قلتِ لسيفك :
فلنتبادل هموم العذابات
كأسا بكأس
فسحّت على حده دمعتان
وقال تعالي نخبىء غبار المعارك
والبتر في أرضنا لزمان يجيء
قال هذي دموعي
وهذي شموعي
ومن أطفأ الضوء فوق تراب البطولة
منهزم وجبان
قال سيفك :
من يقفل الغمد فوقي
مندحر بعد آن .
ثم بين الدماء التي امتصها قاتل
والدموع التي سحّها حاقد هائل
والكلام المزهّر فوق مروج الحناجر
أبدعت أرضا
وبحرا
وقافلة ...
ورأيت قطيعا يحاول تبديل رعيانه
ورسمت وجوها
ودربـــا
وخارطة ...
ثم قلت : رحيلي مع الرمس
يعني مجيئي مع الشمس
يعني ابتداء الطعان
فاكتبي يا مدينتي الآن كل الجرائم
ـ حين تهاجمنا ـ
في تلافيف ذاكرة لا تخيب !
ان للحركات العظيمة
ـ فوق سفوحك ـ
عهدا عريق التوهج
عهدا شديد الوجيب !
داخل في دمي ..!
خارج من دم القاتلين
خارج من دمي ..!
داخل في دم العاشقين .

السويداء (سوريا)